فاروق وادي

أفنان القاسم وهاجس البحث عن المعادل الوهمي

«... إني أعتقد أن كتابة أدب سيء، تعرقل مسيرة العملية التاريخية نحو الاشتراكية».

غابرييل ماركيز

السمة الأساسية التي تميز أفنان القاسم، على صعيد الرواية الفلسطينية، تكمن في عطائه التراكمي. فهو الاكثر غزارة في الانتاج من بين مجموعة الكتّاب الفلسطينيين الذين مارسوا، وما زالوا يمارسون، هذا الشكل الابداعي. وهو يظل يحتفظ بهذا الموقع الانتاجي بجدارة، حتى لو أسقطنا من عداد إنتاجه مجموعة المخطوطات المتوافرة لديه والتي يعدُّ بنشرها[1].

ويشكل أفنان القاسم حالةجديرة بالدراسة؛ وذلك انطلاقاً من التساؤل الأولي الذي يطرح حول قيمة التراكم الكتابي الذي كلما تزايد وتكاثر أبعد بمنتجه عن دائرة الضوء والاهتمام. ذلك التساؤل الذي يقودنا إلى سؤال آخر اكثر جوهرية، ويتعلق بالقيمة الفنية للروايات التي قدمها الكاتب، حتى الآن، وقدرتها في التعبير عن القضية التي تحتضنها.

تعطي قراءة أفنان القاسم إجابة واضحة عن التساؤل الأول، فالتراكم الذي يحركه هاجس التكديس لعدد الكتب وعدد الصفحات، ينزع عن عملية التراكم قيمتها الكامنة، لانها تكون قد سقطت فريسة للتكرار، إذ تجترّ الصفحات ذاتها وتعيد عملية الاجترار حتى الاستهلاك... وهنا لا يشفع الحجم ولا العدد ولا الغزارة! وعند البحث عن القيمة الفنية لأعمال القاسم الروائية وموقعها في عملية التعبير عن القضية الفلسطينية، فاننا نصاب بالخذلان، ذلك لأنها تحيل الواقع عن سبق تعمد إلى وهم كاذب، والحقيقة إلى سراب خادع.